الفلسطيني، لا يستلزم بالضرورة أن «الوحدة العربية لا تتحقق بفعل عامل واحد حتى لو كان هذا العامل هو تحرير فلسطين».

ففلسطين، في نظر هذا التيار من الحركة القومية العربية، هي المجال الوحيد الذي يوفّر الظروف الموضوعية لشرطهم الأساسي للوحدة: وحدة النضال العربي المشترك.

ويرى د. منيف الرزاز، في هذا السياق، أن الأمة العربية لو خاضت معركتها ضد الاستعمار موحدة، لخرجت من معركتها موحدة. ويرى أن شعارات وحدة مصر والسودان، أو وحدة اليمن الشمالي والجنوبي، تظل مجرد شعارات، طالما أن النضال كان قائماً بذاته في كل قطر على حدة. وبعد أن يضرب أمثلة كثيرة على ذلك، ليعزز من تماسك هذا المنطق، يشير الى أن انسحاب الاستعمار المباشر، وحلول الامبريالية أو الاستعمار غير المباشر مكانه في الوطن العربي، قد أضاع فرصة العامل الرئيسي الذي أسماه وحدة النضال ضد الاحتلال الأجنبي. ويقول تحت عنوان فرعي: أثر انسحاب الاستعمار على الوحدة: «...فالاستعمار، ذلك التحدي الكبير الذي يثير وجوده معارك النضال الأساسية، قد انسحب أو انسحبت جيوشه، من الأرض العربية أو كاد. والفرص التي كانت ممكنة قبل ربع قرن أو أكثر لتوحيد معركة النضال العربي ضد الاحتلال الأجنبي، لم تعد متاحة اليوم. والذي بقي اليوم من الاستعمار في معظم الأرض العربية، هي مصالحه، ونفوذه، ورشواته، وعملاؤه، والمؤسسات المتحالفة معه، والملتقية معه في المصلحة. وأصبح النضال ضد الاستعمار محصوراً، بالضرورة في النضال ضد هذه البقايا. وهذه البقايا تتمثل في قوى محلية، تفرض طبيعتها على المعركة ضدها، طابعها المحلي الاقليمي» (د. الرزاز، ص١٥٩).

إذاً، يشكل انسحاب الاستعمار المباشر، ضياع فرصة تاريخية، في نظر هذا المنطق الذي يعكسه د. الرزاز، لتوحيد النضال العربي بأسره. فما الحل إذاً وقد اعتبر هذا العامل هو العامل الديناميكي الوحيد، بينما تراجعت العوامل الاخرى – التي ذكرها فيصل حوراني – لتدخل حيّز العوامل الستاتيكية. هنا يأتي جواب د. منيف الرزاز الذي يتعارض مضمونه مع مضمون ما يطرحه مؤلف «الفكر السياسي الفلسطيني». إذ أن المخرج من هذا المأزق عند د. الرزاز هو فلسطين، التي تبقى الميدان لتوحيد النضال العربي.

فبعد أن يشرح د. منيف الرزاز طبيعة الوجود الاستيطاني الصهيوني المدعوم من الامبريالية، يرى أنه بسبب هذا التركيز الشديد، الذي تركّزه القوى الامبريالية في فلسطين، للتحكم في مصير الأرض العربية، «فان إمكانية نجاح القوى القطرية وحدها في طرد الاستعمار الصهيوني مستحيلة بالقطع» (د. الرزاز، ص١٦٢).

وكل ما ذكر هنا هو مجرد مقدمات، تُوصل القارىء، بالنهاية، الى الاستنتاج الذي رفضه فيصل حوراني: هذا الاستنتاج كما يعرضه د. الرزاز هو أن الاحتلال الاسرائيلي أو القضية الفلسطينية بشكل عام، تشكل «القضية القومية الكبرى الباقية من تحدي الاستعمار المباشر في الوطن العربي» (د. الرزاز ص١٦٥). ومن هنا اعتبر د. منيف الرزاز أن الثورة الفلسطينية يجب أن تكون ثورة العرب من أجل فلسطين، وينبغي لثورة التحرير الفلسطينية أن تصبح هي ذاتها منطلق ثورة الوحدة العربية، لأنها هي الوحيدة المؤهلة لخلق القوة العربية القومية ضد الاستعمار. ووحدة النضال العربي يمكن أن تتجلى فيها كما لم تتجل في تحرير أي قطر عربي. وينتهي د. منيف الرزاز الى استنتاجه، المناقض تماماً لاستنتاج فيصل حوراني، حين يرى أن فلسطين هي الفرصة الوحيدة المتبقية أمام العرب من أجل توفير ظروف وحدة النضال العربي، وأنه إذا قضي على الثورة الفلسطينية بالفشل، قضي على الوحدة العربية بالفشل أيضاً.

ويرى المتابع هنا أن هذا المنطق، وإن كان يلتقي مع منطق فيصل حوراني ويوافقه على أن الوحدة العربية لا تتحقق بفعل عامل واحد.. إلا أنه يعارضه في ايمانه بأن عامل تحرير فلسطين هو العامل الحاسم الذي لن تتم الوحدة في حال غيابه! بينما لا يمنع غياب عامل وحدة الدين مثلاً، قيام الوحدة.